

مذهب الأشاعرة في الصفات

أهداف الدرس

1. أن أتعرف مذهب الأشاعرة في الصفات؛
2. أن أتبين طرق الأشاعرة في الاستدلال لصفات الله تعالى والرد على المخالف؛
3. أن أتمثل معاني الصفات اعتقاداً وسلوكاً.

تمهيد

تعددت مذاهب علماء الكلام في الصفات إثباتاً ونفياً، وقد أقام كل فريق دليلاً على ما يراه صحيحاً مستقيماً ينتج المطلوب، وكان من المذاهب الإسلامية التي عنيت بالبحث في الصفات تحقيقاً وتحريراً واستدلالاً ومناقشة مذهب أهل السنة الأشاعرة.

فما هو مذهبهم في الصفات؟ وما هي طرقهم في الاستدلال والمناقشة؟

نص الانطلاق

قال الإمام سيف الدين الآمدي رحمه الله: «مذهب أهل الحق أن الواجب بذاته مريد بإرادة، عالم بعلم، قادر بقدر، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، وهذه كلها معان وجودية أزلية زائدة على الذات. وذهبت الفلاسفة والشيعة إلى نفيها ثم اختلفت آراء الشيعة فمنهم من لم يطلق عليه شيئاً من الأسماء الحسنى، ومنهم من لم يجوز خلوه عنها، وأما المعتزلة فموافقون للنفاة وإن كان لهم تفصيل مذهب في الصفات».

[غاية المرام في علم الكلام ص 38].

الفهم

الشرح:

- **أهل الحق:** أهل السنة الأشاعرة.
- **الواجب بذاته:** هو الله عز وجل.
- **أزلية:** قديمة ليست مسبقة بالعدم.

استخلاص المضامين:

- أستخلص مذهب الأشاعرة في الصفات واستدلّاهم وردهم على المخالف.

التحليل

اشتمل هذان النصان على مسائل:

المسألة الأولى: مذهب الأشاعرة في صفات الله تعالى

أولاً: معنى الصفات لغة واصطلاحاً

الصفات لغة جمع صفة، والصفة والوصف عند أهل العربية بمعنى واحد وهي النعت والتحلية، وفي اصطلاح المتكلمين: الوصف قول الواصف، والصفة: المعنى القائم بالموصوف. [حاشية ابن حمدون على ميارة، 21/1، بتصرف].

ثانياً: أزلية صفات الله تعالى وقدمها

مذهب أهل السنة الأشاعرة أن الله تعالى لم يزل مُسمياً لنفسه بأسمائه الحسنى، وواصفاً لها بصفاته العلى قبل إيجاد خلقه، وأن صفاته ليست من وضع الخلق خلافاً للمعتزلة القائلين إن الله تعالى كان أزلاً بلا اسم ولا صفة، فلما أوجد الخلق وضعوا له الأسماء والصفات، بل صفاته أزلية قائمة بذاته باقية ببقائه، وكلها كمال، فخلوه عنها نقص، والنقص عليه محال إجماعاً، فلا يكون شيء من صفاته حادثاً وإلا كان خالياً عنه قبل حدوثه.

ثالثاً: تنزيه الله تعالى في صفاته ومخالفته فيها للحوادث

ذهب الأشاعرة إلى أن الباري سبحانه لا يشبه شيئاً من المخلوقات، أي لا يشارك شيئاً منها في أخص صفاته، ولا يشبهه شيء منها، أي لا يشاركه في ماهيته أو في أخص وصفه، قال

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 9]، وأن صفات الكمال واجبة له تعالى بطريق المنقول والمعقول.

أما المنقول فالإجماع على وجوب اتصاف الباري بصفات الكمال.

وأما المعقول فيقال: كل ناقص محتاج، وكل محتاج جائز، النتيجة أن كل ناقص جائز، وهو يقتضي الوجوب الثابت لله، وأن كل ما يؤدي إلى إمكانه أو حدوثه أو قصوره في صفاته فهو مستحيل في وصف الله تعالى، وهو منزّه عنه، وأن الظواهر النقلية المشعرة بالجسمية والجهة كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. [طه: 4]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكَبَاتِ﴾ [الملك: 17]، وقوله جل من قائل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 74]، وقول النبي ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة...». [صحيح البخاري كتاب الجمعة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل] محمولة على التأويل، وأن المراد بها معنى غير ظاهرها، أو على تفويض علمها إلى الله تعالى. [شرح معالم أصول الدين، ص 203 و 220، بتصرف].

رابعاً: صفات الله تعالى زائدة على ذاته سبحانه

ذهب الأشاعرة إلى أن الله تعالى عالم بعلم، مريد بإرادة، قادر بقدره، حي بحياة، سميع بسمع، بصير ببصر، مريد بإرادة، متكلم بكلام، وهذه الصفات زائدة على ذاته سبحانه، وهي صفات موجودة أزلية، ومعان قائمة بذاته غير مفتقرة إلى أمر خارج، بل كل واحد منها واجب بذاته، قائم بنفسه، ولا يلزم من كونها زائدة على ذاته أنها غيره، وأنهما متعددان، فإن الدليل قد دل على أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن كل الحادثات انتهت إليه، وأنه غير مفتقر إلى أمر خارج عنه. [نهاية الإقدام، ص 175، بتصرف].

المسألة الثانية: رد الأشاعرة على المخالفين في الصفات الثبوتية

ذهب المعتزلة في الصفات إلى أنه تعالى عالم قادر حي لنفسه، فأثبتوا الذات بدون الصفات، فنفوا صفات المعاني وأثبتوا أحكامها وهي المعنوية، وقالوا تجب له تعالى لذاته ولا تعلل بصفات المعاني حذراً من القول بتعدد القدماء.

وقد لخص الإمام عبد القاهر البغدادي مذهب الأشاعرة والمعتزلة في الصفات بقوله: «أجمع أصحابنا على أن قدرة الله عز وجل وعلمه وحياته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه صفات له

أزلية... وأصحابنا مجمعون على أن الله تعالى حي ب حياة، وقادر بقدره، وعالم بعلم، ومريد بإرادة، وسامع بسمع لا بأذن، وباصر ببصر هو رؤية لا عين، ومتكلم بكلام لا من جنس الأصوات والحروف، وأجمعوا على أن هذه الصفات السبع أزلية، وسموها قديمة... ونفت المعتزلة جميع الصفات الأزلية». [أصول الدين، ص 51].

ورد عليهم الأشاعرة بالأدلة العقلية والنقلية؛ فمن الأدلة العقلية: أن حد العالم من قام به العلم، وعلة العالمية: أعني كونه عالما هو العلم، وهذا لا يختلف شاهدا وغائبا. وكذلك أيضا أنه لا يعقل من العالم إلا من له العلم، ومن المعلوم إلا ما تعلق به العلم، فبالضرورة إذا كان عالما وكان له معلوم كان له علم.

ومن الأدلة النقلية: قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: 165]، وقوله سبحانه: ﴿لَنْ نَنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: 14]، وقوله: ﴿وَالْقَوْلُ الْمتِينُ﴾ [الذاريات: 58] وقوله: ﴿أَرْأَوْفَوْا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 164].

التقويم

1. أبين الصفات الأزلية التي نفاها المعتزلة مع التعليل.
2. كيف رد الأشاعرة على المعتزلة في نفيهم الصفات الأزلية؟
3. كيف تعامل الأشاعرة مع النصوص التي توهم بظاها تشبيه الخالق بالمخلوق؟

الاستثمار

قال الإمام ابن عساكر رحمه الله: «فإنهم-الأشاعرة- بحمد الله ليسوا معتزلة ولا نفاة لصفات الله معطلة، لكنهم يثبتون له سبحانه ما أثبتته لنفسه من الصفات، ويصفونه بما اتصف به في محكم الآيات، وبما وصفه به نبيه ﷺ في صحيح الروايات، وينزهونه عن سمات النقص والآفات، فإذا وجدوا من يقول بالتجسيم أو التكييف من المجسمة والمشبهة، ولقوا من يصفه بصفات المحدثات من القائلين بالحدود والجهة، فحينئذ يسلكون طريق التأويل، ويثبتون تنزيهه بأوضح الدليل ويبالغون في إثبات التقديس له والتنزيه خوفا من وقوع من لا يعلم في ظلم التشبيه، فإذا أمنوا من ذلك رأوا أن السكوت أسلم، وترك الخوض في التأويل إلا عند الحاجة أحزم». [تبين كذب المفترى، ص 388].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1. ما هي الطريقة التي سلكها الأشاعرة في التنزيه؟
2. أين تتجلى وسطية المذهب الأشعري في الصفات؟

الإعداد القبلي

أراجع بعض كتب العقيدة وعلم الكلام وأبحث عن:

1. مدلول التعلق عند الأشاعرة.
2. ما يتعلق من الصفات وجهة تعلقها.